المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

مِنْ دلالاتِ الانتقالِ بينَ (الفاءِ) و(ثمَّ) العاطفتَيْنِ في القرآنِ الكريمِ دراسةٌ تحليليَّةٌ بلاغيَّةٌ

Some of the Connatations of Transition Between the Two Conjunctions (al-Fā) and (Thumma) in the Noble Quran An Analytical Rhetoric Study

بقلم الدكتور

عبد الرحمن بن هلال عبد الرحمن الحربيّ

أستاذ الأدب والبلاغة المساعد في قسم اللغة العربيَّة

كليَّة الآداب - جامعة حفر الباطن ـ المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

مِنْ دلالاتِ الانتقالِ بينَ (الفاءِ) و(ثمَّ) العاطفتَيْنِ في القرآنِ الكريمِ دراسةٌ تحليليَّةٌ بلاغيَّةٌ

عبد الرحمن بن هلال عبد الرحمن الحربي

قسم اللغة العربيَّة ـ كليَّة الآداب - جامعة حفر الباطن ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: aralharbi@uhb.edu.sa

الملخص

تعنى هذه الدراسة بتناول دلالات الانتقال بين حرفي العطف (الفاء) و(ثمَّ) في عامَّة المواضع الواردة في القرآن الكريم، وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: من دلالات الانتقال بين (الفاء) و(ثم) العاطفتين في القرآن الكريم، دراسة تحليليَّة بلاغيَّة.

واستهدفت الدراسة معرفة أسباب العدول والانتقال بين العاطفَيْنِ في عامَّة مواضعها الواردة في البيان الرباني –في ظواهرها المتشابهة والمنفردة– والوقوف على الدلالات المستنبطة من هذه الانتقالات، مع محاولة تناول جميع أوجه الانتقال الممكنة بين العاطفَيْنِ ، والاجتهاد في تلمس ملامح الإعجاز فيها، وفنون الإيجاز.

وقد جعلت الدراسة في مقدمة، وتمهيد اشتمل على الحديث عن مفهوم العاطفَيْنِ، وأقوال العلماء حول دلالاتهما، ثم مبحثين تناولت في الأول المواضع التي ابتدأ العطف فيها بـ(الفاء) ثم عدل عنه إلى العطف بـ(ثمَّ)، وفي الثاني عكس ذلك، مع محاولة تناول ما يعرض في بعض المواضع من فروق وتفاوت في السياق الواحد، ثم جاءت الخاتمة لتلخص أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

الكلمات المفتاحية: الانتقال بين العاطفَيْنِ (الفاء) و(ثمَّ)، الدلالات البيانيَّة، التعقيب، التراخي.

Some of the Connatations of Transition Between the Two Conjunctions (al-Fā) and (Thumma) in the Noble Quran An Analytical Rhetoric Study

Abdurrahman bin Hilal Abdurrahman al-Harbi
Literature and Rhetoric, College of Arts - University of Hafr Al-Batin - Kingdom of Saudi Arabia
Email: aralharbi@uhb.edu.sa

Abstract

This study is concerned with the connotations of the between the two letters of the conjunction (al-fā) and (thuma; then) in general (most common) places in the Noble Qur'an. This study is titled: The connotations of the transition between (fa) and (thumma) the two conjunctional words in the Noble Qur'an, a rhetorical analytical study.

The researcher will try to figure out the reasons for switching in the use of these two conjunctive letters in its general locations presented in the divine statement - in its similar and separate phenomena - and contemplating the connotations deduced from these transitions, in addition to addressing all the transitions between these two conjunctive letters and making the effort to sense the aspects of miracle in them, and the art of brevity.

The study consisted of an introduction, and a preface that dealt with the concept of the two conjunctive letters, and the scholars' sayings about their connotations. Then I discussed the places in which the conjunction began with (fā) and then changed to the conjunction with (then), and vice versa, while trying to address the differences and disparities that appear in some places in the same context, Then came the conclusion to summarize the most important findings of the study.

Keywords: transition between the two conjunctive letters (fā) and (Thuma), illustrative connotations, immediately after, a delay..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإنّ للعطف دورًا كبيرًا في إيضاح المعاني، وإضافة الدلالات على الجمل، علاوةً على ما له من أثر جلي في تماسك النص، وتحقق التوافق بين مفرداته وجمله، ولذا فلقد لفت هذا الأسلوب انتباه اللُّغويّين والبلاغيّين؛ وما تجلي أحكام الفصل والوصل والاستئناف إلا دليل على عظيم أثره، وبليغ بيانه.

ولعل من الدلائل الكبرى على عظم أثره في الدلالة، وحصول دقيق بيانه، ما لاقاه من اهتمام الفقهاء وعلماء التفسير، فقد لاحت لهم في طياته بعض الاستنباطات الفقهيَّة، بل وتجلَّت لهم في خفاياه استنتاج بعض الأحكام الشرعيَّة، علاوةً على إيضاح كثير من إبهام كثير من غوامض الكلمات. دلالات بيانيَّة دقيقة، –حروف العطف "الواو، وثّم، والفاء" تشترك في إفادة الجمع، أما بقيَّة الحروف فللعطف فقط.

مشكلة البحث:

عرض أهم دلالات الانتقال بين حرفَي العطف (الفاء) و(ثمَّ) في عامَّة المواضع الواردة في القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

١. ما دلالات العطف بحرف (الفاء)؟
٢. ما دلالات العطف بحرف (ثمَّ)؟
٣. ما دلالات الانتقال من العطف بحرف(الفاء) إلى العطف بحرف (ثم)؟
٤. ما دلالات الانتقال من العطف ب(ثم) إلى العطف بـ(الفاء) ؟

أهداف البحث:

١. عرض دلالات العطف بحرف العطف (الفاء) عند اللُّغويّين.
٢. بيان دلالات العطف بحرف (ثمَّ) عند اللُّغويّين.

٣. ذكر بعض دلالات الانتقال من العطف بحرف(الفاء) إلى العطف بحرف (ثم) في بعض الآيات القرآنية .

٤. ذكر بعض دلالات الانتقال من العطف بحرف (ثم) إلى العطف بـ(الفاء) في بعض الآيات القرآنية .

أسباب دراسة الموضوع:

١- عدم وجود دراسة متخصصة في بيان دلالات الانتقال بين حرفي العطف (الفاء) و(ثمَّ) وعكس ذلك في القرآن الكريم.

٢- محاولة عرض بعض جهود علماء اللغة وعلماء التفسير في بيان دلالات الانتقال بين حرفي العطف (الفاء) و(ثمَّ) في القرآن الكريم.

٣- المشاركة في خدمة تفسير كتاب الله تعالى من خلال إلقاء الضوء على بعض حِكَم وأسرار الانتقال بين حرفَي العطف (الفاء) و(ثمَّ) في القرآن الكريم.

مصطلحات البحث:

عنوان البحث "مِنْ دلالاتِ الانتقالِ بينَ (الفاءِ) و(ثمَّ) العاطفتَيْنِ في القرآنِ الكريمِ دراسةٌ تحليليَّةٌ بلاغيَّةٌ."

الدلالات: جمع دلالة، "دَلَّه- دلالة "مثلثة والفتح أعلى" ودلولة على الطريق وغيره و- إليه: سدَّده إليه وأرشده."(١)

وقال الجرجاني: "الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص."(٢)

---

(١) معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، ٢ / ٤٤٣.

(٢) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

والانتقال افتعال من نقل، و"نَقَلَهُ يَنْقُلُه نَقْلًا: حَوَّلَهُ مِن مَوْضِعٍ إلى موْضِعٍ، فانْتَقَلَ."(١)

وسيأتي تعريف العطف في التمهيد بمشيئة الله تعالى.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهج الاستقرائي لجمع بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها الانتقال من العطف بحرف (ثم) إلى العطف بـ(الفاء) والعكس، واستخدام المنهج التحليلي لدراسة دلالات الانتقال المذكور من الجوانب التفسيرية والبلاغية.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة ذكرت فيها مشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، أسباب دراسة الموضوع، ومصطلحات البحث، ومنهجه.

ثم جاء التمهيد الذي عرض بإيجاز تعريف العطف لغةً واصطلاحًا، وكلام اللغويين في دلالات حرفي العطف (الفاء) و (ثمَّ).

ثم المبحث الأول وموضوعه: الانتقال من العطف بـ(الفاء) إلى العطف بـ(ثم)، والمبحث الثاني الانتقال من العطف بـ(ثمَّ) إلى العطف بـ(الفاء)، ثم الخاتمة وبها أهم النتائج ثم المراجع.

(١) تاج العروس، الزبيدي، ١٥ / ٧٥٠ .

تمهيد:

درجت آراء النَّحْوِيّين على أن دلالة حرف العطف لا تتم إلا بما يضاف إليه من كلام؛ فهو حرف دال على المعنى في غيره(١)، ويرى آخرون أنَّ له معنًى في ذاته؛ وإن كانت دلالته في ذاته ضئيلة(٢)، ومع ذلك فهو يحمل دلالات مختلفة باختلاف ما يضاف إليه من كلام، وتزداد دلالته تركيزًا وتنوعًا وثراءً باختلاف سياقه، فيحدث به من الفروق الدلاليَّة ما يختلف ويتنوع بتنوع السياق الذي يرد فيه.

ومما يلاحَظ في مثل هذه الحروف أسلوب الانتقال فيما بينها في سياق الجملة الواحدة، وذلك ظاهر في سائر الكلام –لا سيما– في الذكر الحكيم، وإنّ المتتبع لآي الذكر الحكيم يجد في بعض جمله المتضمنة لبعض حروف العطف انتقالات متنوّعة فيما بينها؛ فتارةً يجد انتقالًا بين الفاء وثمَّ، والعكس، وتارة أخرى يجد انتقالًا بين الواو والفاء، وهكذا في غالب حروف العطف.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ ما يأتي منها في التنزيل الحكيم له دلالته الدقيقة، وغاياته البيانيَّة التي لا تتأتى في أيّ بيان آخر، مهما علا وارتقى، وتزيد أسرار هذه الدلالات وخباياها في حال اختلاف السياقات التي ترد فيها، ومن هنا فجدير بدراسة هذا الباب في البيان الرباني، والوقوف على أسراره البلاغيّة، ودقائقه البيانيَّة.

ولتكَرُّر الانتقال بين (ثم) و (الفاء) والعكس في آي الذكر الحكيم، وتنوع دلالاتها، واتساع بيانها، استوجبت هذه الدراسة الوقوف على مواضع حرفَي (ثم) و(الفاء) في السياق القرآني، ومعرفة ما يقع فيهما من دلالات في إطار هذه الانتقالات. ولعلَّ في هذَيْنِ الحرفَينِ من الدلالات والبيان ما لا يحاط بمداه في عامَّة التعبيرات، فكيف إذا ما طُرِق بابهما في البيان القرآني.

---

(١) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢ه، ١٢/١.

(٢) الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٥ه، ٧/٢.

وباب العطف كغيره من الأبواب الخصبة التي لا تعدم كثيرًا من الدراسات اللُّغَويّة والبيانيَّة، إلا أنَّ مجال الحديث عن الانتقالات بين حروف العطف في الموضع الواحد لا تجد له طارقًا؛ إذ انصَبَّت الدراسات اللُّغَويّة على تناول دلالة هذه الحروف لُغَويًّا، وما يقع بينها من تناوب، وتوجه البلاغيّون للبحث في دلالاتها البيانيَّة العامَّة.

ولعلَّ من أهم الدراسات اللُّغَويّة والبلاغيّة الحديثة التي تطرقت لحروف العطف في مجال بيانها العام دراسة الأخضر بن ناجي الموسومة بـ(أسرار تَكْرَار حروف العطف في القرآن الكريم)، والتي ركزت على ظاهرة التَّكْرَار فقط، وأهملت دراسة العطف في غير أحوال التَّكْرَار، كما لم تشر الدراسة إلى شيء من أحوال الانتقال.

وكذلك من الدراسات التي قد تطرق بيان حروف العطف دراسة الدكتور محمد الأمين الخضري (من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم: الفاء وثم)، والتي بحثت في دلالة الحرفَينِ اللُّغَويّة والبيانيَّة، والوقوف على بعض ظواهر استعمالاتهما، من غير أن يشير صاحبها إلى جوانب الانتقال فيما بينهما، فكانت دراسة يغلب عليها الجانب اللُّغَويّ، وإن تضمنت بعض الإشارات البيانيَّة العامَّة.

وقد تُدرس أساليب حروف العطف واستعمالاتها في إطار السورة الواحدة في القرآن الكريم، فيستخرج الباحث دلالاتها اللُّغَويّة والبيانيَّة من دون الحديث عن دلالات الانتقال فيما بينها؛ مثل الدراسة الموسومة بـ(استعمال حروف العطف في سورة التوبة) للباحث محمد إبراهيم، والتي قد يكون اتجاهها للإطار النَّحْوِيّ أقرب منها للإطار البلاغيّ.

والدراسات العامَّة في الإطار السالف الذكر كثرة ويصعب حصرها، ولم يقع نظري على غير ذلك مما يبحث في إطار دلالات العطف اللُّغَويَّة والبلاغيَّة، ولعل هذه الدراسة تنفرد في تناول الدلالات البيانيَّة المستنبطة من واقع الانتقال في الكلام بين حرفَي (الفاء) و(ثم) والعكس، وبالله التوفيق.

وقبل البدء في سبر أغوار هذا الباب يجب الوقوف على كُنْهِ حروف العطف ومفهومها؛ فيقال: "حروف العَطْف" و"حروف النَّسق"، فالعطف من عبارات البصريّين، وهو مصدرُ عطفت الشيءَ على الشيء إذا أملته إليه، يقال: "عَطَفَ فلانٌ على فلان"، و"عطفتُ زِمَامَ الناقة إلى كذا"، و"عطف الفارسُ عِنانَه"، أي: ثَناهُ وأماله. وسُمّي هذا القبيل عطفًا؛ لأن الثاني مَثْنيّ إلى الأوّل، ومحمول عليه في إعرابه. والنسق من عبارات الكوفيين، وهو من قولهم: "ثَغْرٌ نَسَقٌ"، إذا كانت أسنانه مستوية، وكلامٌ نَسَقٌ إذا كان على نظام واحد، فلمّا شارك الثاني الأوّلَ وساواه في إعرابه، سُمّي نسقًا(١).

وأما العطف اصطلاحًا: فهو تابع يدُلُّ على معنًى مقصود بالنسبة لمتبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من أحرف العطف(٢).

وهو من التوابع، فالأوّل المتبوع المعطوف عليه، والثاني التابع المعطوف. وهذا الضرب من التوابع يُخالف سائر التوابع، لأنها تتبع لغير واسطة، والمعطوف لا يتبع إلَّا بواسطة. وإنّما كان كذلك؛ لأنَّ الثاني فيه غير الأوّل، ويأتي بعد أن يستوفي العاملُ عمله، فلم يتصل إلَّا بحرف بخلاف ما الثاني فيه الأوّلُ، كالنعت وعطف البيان والتأكيد والبدل، وإن كان يأتي في البدل ما الثاني فيه غير الأوّل، إلَّا أنه بعضُه أو معنى يشتمل عليه، فكأنّه هو هو، فلذلك لم يحتج إلى واسطة حرف(٣).

وعند تناول حرفَي العطف (ثم) و(الفاء) بالحديث نجد تأول اللُّغَويّين لهما بمعانٍ ودلالات كثيرة؛ فمثلًا (ثم) من دلالتها العطف، والترتيب مع التراخي الزمني

---

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م، ٣/٥.

(٢) جامع الدروس العربيَّة، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصريَّة، صيدا – بيروت، ط٢٨، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م، ٢٤٤/٣.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش، ٣/٥.

والمكاني المتفاوت المقدار والمهلة، أما حرف (الفاء) فيدل على عدة دلالات منها: العطف، والترتيب، والسرعة، والسببيَّة، وغير ذلك(١).

ولعل من جماليات اللغة العربيَّة مواءمتها بين اللفظ والمعنى؛ فمثلًا اختارت الفاء –وهي حرف واحد– لتحمل معاني السرعة، و(ثم) –وهي ثلاثة أحرف– للدلالة على المهلة والتراخي، ليواكب قصر الزمن في النطق بالفاء التوالي السريع للأحداث، ويتناغم طول النطق بحرف المهلة مع التراخي في وقوع الأحداث(٢)، وقد استقرَّ في عرف اللُّغَويّين أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى(٣).

و(ثم): أداة ربط تربط الألفاظ برفق وتجمع أباعدها ومتنافرها في يسر ولين(٤)، فالثَّم: إصلاح الشيء وإحكامه(٥). وثَمَّ الشيءَ يثُمُّه: جمعه. والمعنى في "ثّم" العاطفة قريب من هذا، لأنّه ضمّ شيء إلى شيء بينهما مهلة، كما أن ثَمَّ البيت ضَمّ بين شيئين بينهما فرجة، وما أثبته النُّحاة لهذا الحرف من معاني التشريك والترتيب، والمهلة ملتفت إلى هذا الأصل، ومستمد منه(٦).

وفي الفرق بين هذَيْنِ العاطفَيْنِ ما ذكره سيبويه في كتابه: "ومن ذلك قولك: مررت بزيد فعمرو، ومررت برجل فامرأة؛ فالفاء أشركت بينهما في المرور،

---

(١) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء) و (ثم) محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة (مصر، القاهرة) ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣. ص ١٥٣.

(٢) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء) و (ثم) محمد الأمين الخضري، ص ١٥٣.

(٣) ينظر: الخصائص، ابن جني، ٣/ ٢٦٨؛ وشرح الشواهد الشعريَّة في أمات الكتب النَّحْوِيّة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، ١١١/٣.

(٤) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء) و (ثم) محمد الأمين الخضري، ص ١٥٤-١٥٥.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت،ط٣ – ١٤١٤ هـ، ٧٩/١٢.

(٦) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء) و (ثم) محمد الأمين الخضري، ص ١٥٤-١٥٥.

وجعلت الأول مبدوءًا به. ومن ذلك: مررت برجل ثم امرأة، فالمرور ههنا مروران، وجعلت ثم الأول مبدوءًا به وأُشركتْ بينهما في الجر[١]".

والذي يظهر في الفرق بين العاطفَيْنِ هو أنَّ كليهما يدل على الترتيب، إلا أنَّ (الفاء) تدل على الترتيب مع التعقيب المتصل والمتوالي بلا فاصل زمني، بينما الترتيب بـ(ثم) يكون بمهلة وتراخٍ، وربما بعد انقطاع، على ما يتميز به كل منهما -على حدة- من دلالات أخرى متفاوتة، على حسب السياق الذي ترد فيه.

ويؤكد هذا الفرق ما ذكره المرادي بقوله "أما (فاء) العاطفة فهي من الحروف التي تشرك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب؛ فإذا قلت: قام زيد فعمرو، دلت على أن قيام عمرو بعد زيد، بلا مهلة، فتشارك (ثم) في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنها للاتصال، و(ثم) تفيد الانفصال، هذا مذهب البصريّين، وما أوهم خلاف ذلك تأوَّلوه"[٢].

ونقل المرادي قول بعضهم: الترتيب بالفاء على ضربَينِ: ترتيب في المعنى، وترتيب في الذكر؛ والمراد بالترتيب في المعنى أن يكون المعطوف بها لاحقًا متصلًا، بلا مهلة، وأما الترتيب في الذكر فنوعان: أحدهما عطف مفصّل على مجمل، هو في المعنى، كقولك: توضأ، فغسل وجهه ويديه، ومسح برأسه، ورجليه، والثاني عطف لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن (الواو)...[٣].

قال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قلت: إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود. كقوله:

يا لهف زيَّابة للحارث ال ... صابح، فالغانم، فالآيب

---

(١) الكتاب، سيبويه، ٤٣٨/١.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، تح: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، ص ٦١.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص ٦٣ – ٦٤.

كأنه قال: الذي صبح، فغنم، فآب. وإما على ترتبها في التفاوت، من بعض الوجوه؛ كقولك: خذ الأكمل فالأفضل، واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك؛ كقولك: رحم الله المحلقين فالمقصرين، فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر (الفاء) العاطفة في الصفات(١).

ومن الفروق بينهما ما ذكره عظيمة؛ بأن (ثم) لم تقع عاطفة للمفرد في القرآن الكريم، وإنما جاءت عاطفة للجمل، وأما (الفاء) فقد جاءت عاطفة للمفرد وللجملة في القرآن، وقد ذكر أن عطفها للاسم المفرد جاء في نوع معين لم تتجاوزه في القرآن: وهو عطف الصفات، فكل ما وردت فيه (الفاء) عاطفة للاسم المفرد في القرآن كان اسم فاعل معطوفًا على اسم فاعل(٢).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧هـ، ٣٤/٤.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن لعبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٢٢/٢.

المبحث الأول

الانتقال من العطف بـ(الفاء) إلى العطف بـ(ثمَّ) في بعض الآيات القرآنية

يأتي الانتقال من (الفاء) إلى (ثم) فيكون فيه دلالات متنوعة وفريدة، ومن مواضعه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٠]، فقد عطف لبث موسى –عليه السلام– في مدين على افتتانه بـ(الفاء) المعطوف قبله على امتنان الله عليه بالنعم؛ في إشارة إلى أن ما وقع لموسى –عليه السلام– وإن كان في ظاهره افتتان فإن فيه امتناناً؛ إذ استجاب الله دعاءه؛ فنجاه من القوم الظالمين، وهداه إلى سواء السبيل، ورزقه المال والزوجة والمأوى، فجاء العطف بـ(الفاء) في إشارة إلى أن هذه النعم خاصة مترتبة على ذلك الافتتان.

ثم عبَّر عن طول المدة التي قضاها موسى –عليه السلام– في مدين بحرف المهلة والتراخي الزمني (ثم)، فعطف به عودته، ولقاءه ميقات ربه، في إشارة إلى تمجيد هذا الحدث العظيم؛ إذ كلم الله نبيّه موسى عليه السلام بقدر منه جل جلاله، فكان للانتقال بالمعنى من العطف بـ(الفاء) إلى العطف بـ(ثم) أثره الدلالي الظاهر في بيان أهميَّة هذا الحدث وتأكيده.

وقد جاء الانتقال بين (الفاء) و (ثم) للدلالة على التنوع الزمني بين التعقيب المباشر والترتيب المتراخي؛ وقد كثر ذلك في مواطن الإحياء والإماتة والبعث؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨ – ٢٩].

فقد جاء هذا الموضع في سياق التعجُّب من كفر هؤلاء المخاطبين وجحودهم وتوبيخهم والإنكار عليهم بسوء صنيعهم، والاحتجاج عليهم بتذكيرهم بأن الله قد أحياهم بعد موتهم، وأنه سيميتهم بعد هذا الإحياء، ثم إنه سيبعثهم بعد ذلك.

فقد بين العطف بـــ (الفاء) أن الإحياء مرتب على الموت الذي كان أصلًا لكل شيء مخلوق؛ ومنه يظهر التفاوت الرتبي التدريجي في بث الحياة فيه بعد إذ كـــان جنينًا ميتًا في بطن أمّه ثم سريان الحياة فيه، ثم تطورها فيه وليدًا، ثم صـــبيًّا، ثـــم شابًّا، ثم راشدًا، ثم شيخًا، ثم هرمًا، ثم الإعادة إلى الموت مرة أخرى والبقاء فـــي الحياة البرزخيَّة إلى ما شاء الله، ثم البعث، وفي كل يظهر الترتيب مـــع التراخـــي الزمني عدا الإحياء الأول؛ فقد جاء العطف فيه بـــ(الفاء) ليومئ بدلالـــة التعقيـــب المباشر المتصل.

وأما (ثم) فدلت على الترتيب مع التراخي الزمني بين الموتة الثانية والبعث، ولعل فيه بيانًا لأن الاستواء من أجل خلق السموات كان بعد تمام خلق جميع ما في الأرض وإتقانه، وأن ذلك كان بينه مقدار زمني مؤكد، لكنه غير مصرح به فهـــو غير معلوم، وشواهده في القرآن كثيرة.

وعلى القول بأن الحياة الأولى هي نفخ الرُّوح بعد تلك الأطوار التي يمر بها الجنين في رحم أمّه –مِنَ النُّطفة والعلقة والـــمُضغة واكتساء العظام لحمًا[1]– يكون في العطف بـــ(الفاء) بيانًا لأن الإحياء مرتب على الموت الذي كان قبلـــه، ودليـــل بتعقيبه عليه –إذ يقع الإحياء بعد نفخ الروح مباشرة– وبـــذا يكـــون فيـــه إيمـــاء باستشعار التحول، بالوجود من العدم، وبالحياة بعد الموت.

وحين يتم الإحياء –بعد مراحل الخلق المعلومة– ويعيش المخلـــوق حياتـــه المقدرة له في هذه الدنيا، ويبقى مدة طويلة من الزمن –قد تتجاوز عدة عقود غالبًا– يتم الانتقال بـــ(ثم) للإخبار بالمرحلة التالية؛ وهي الموت بعد سنين العمر المكتوبة، في إشارة إلى التراخي الزمني والمهلة المقدرة بعد الإحياء الأول.

يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم كان العطـــف الأوّل بـــــ(الفاء) والإعقـــاب بـــ(ثم)؟ قلت: لأنّ الإحياء الأوّل قد تعقب الموت بغير تراخٍ، وأمـــا المـــوت فقـــد

(١) البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق صدقي محمد، دار الفكر– بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢١٢/١.

تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني -كذلك- متراخٍ عن الموت- إن أريد به النشور- تراخيًا ظاهرًا، وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء -أيضًا- متراخٍ عن النشور"(١).

ولا يخفى ما في الانتقال بالعطف بين (الفاء) و(ثم) في هذه الآية من بيان لعظمة الله ﷻ، وإثبات لقدرته، وإشارة إلى تقريع كل من يكفر ولا يؤمن بالله بعد إقراره وعلمه بهذه القدرة العظيمة، وتقبيح له، وتعجيب من سوء صنيعه هذا.

ومن مواضع الانتقال بين (الفاء) و(ثم) في إطار الإحياء والإماتة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[البقرة: ٢٥٩]؛ فجاء الانتقال بين العاطفَيْنِ لإثبات التباين الزمني بين الإماتة والإحياء؛ حيث جاء ذكر الإماتة بعد (الفاء)، في إشارة إلى سرعة إيقاعها، وجاء ذكر البعث والإحياء بعد (ثم) للإشارة إلى وقوع المهلة المقدرة بينهما بمئة عام، فجاء هذا الانتقال متوافقًا مع طبيعة الحدث.

فدلت (الفاء) على الترتيب والتعقيب؛ أي أن إيقاع الموت كان مترتبًا على الاستفهام عن كيفيَّة إحياء الموتى، وأنه جاء بيانًا لأن ما بعد (الفاء) كان مسببًا عمَّا قبلها، كما أومأ العاطف إلى يسر ذلك على الله؛ في إشارة إلى إثبات قدرته ﷻ.

يقول ابن عاشور: "وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ﴾ استفهام إنكار واستبعاد، وقوله: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾التعقيب فيه بحسب المعقب؛ فلا يلزم أن يكون أماته في وقت قوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾. وقد قيل: إنه نام فأماته الله في نومه"(٢).

كما دل العطف بـ(ثم) على الترتيب المتراخي؛ بمعنى أن الإحياء مترتب على وقوع الموت؛ إذ لا إحياء إلا بعد موت، وأنه كائن بعده بزمنٍ متراخٍ، وفي ذلك تأكيد لإيقاع الموت عليهم، وإثبات معايشة واقع الموت ثم الإحياء بعده.

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ١٢٢/١.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٦/٣.

وجاء العطف بحرف التراخي من أجل إثبات طول مدة الإماتة، ولأن الإحياء بعد تراخي المدة أبعد تأثيرًا في العقول من الإحياء بعد قرب المدة(١). وقريب مما جاء في معنى هذا الانتقال ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾[البقرة: ٢٤٣]. وقريب منهما ما نقله القرآن الكريم عن إبراهيم، عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقد كثر مجيء هذَيْنِ العاطفَيْنِ في مواضع البعث والإماتة؛ ولعل ذلك لما فيهما من دلالات الترتيب المتفاوت بين التعقيب المباشر والترتيب المتراخي؛ مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾[البقرة: ٢٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥ – ٥٦] وغير ذلك كثير.

وقد يأتي الانتقال بين العاطفَيْنِ متكررًا لإثبات قدرة الله –جلَّ وعلا– كما في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ﴾[الزمر: ٢١]؛ فعطف جملة (فسلكه ينابيع في الأرض) بـ(الفاء) على جملة (أنزل من السماء ماء)، في إشارة إلى أن سلوك الماء وانتشاره في أودية وينابيع الأرض كان عقيب إنزال الماء من السماء، وأنه كان متصلًا به، ولا فاصل بينهما ولا مهلة، وأن هذا الإسلاك مترتب على ذلك الإنزال، ومسبب عنه. وفيه بيان لعظيم قدرة الله –جل جلاله– ولو كان العطف بغير (الفاء) لفاتت هذه المعاني.

ثم عدل النظم القرآني بالعطف بـ(ثم) عندما انتقل سياق الآية بالحديث عن الإنبات وإخراج الزرع للإشارة إلى تلك المهلة الواقعة بينهما، وليظهر دلالة

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١–١٤٢٠هـ، ٢٩/٧.

الترتيب مع المهلة، وبيان أنَّ لاحقها جاء بعد سابقها بتريث، وأنه مرتب عليه بتراخٍ، وذلك من خلال معرفة المقدار الزمني في إنبات الزرع بعد نزول الغيث، ثم نضوجه، ثم هيجانه واصفراره، ثم يبسه وتحطمه وفنائه، وفي ذلك إشارة لبديع خلق الله -ﷻ- وعجيب صنعه، وإيماء إلى أنَّ كل شيء مهما اشتد وقوي فإن مصيره التلف والفناء.

ومن مواضع الانتقال بين العاطفَيْنِ البديعة ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٨ – ٢٢]، فقد جاءت المزاوجة متكررة بين العاطفَيْنِ؛ فعطف تقدير خلقه أطوارًا[١] على النطفة بـ(الفاء)؛ في إشارة إلى أن هذه الأطوار مرتبة ابتداءً على هذه النطفة، وكذلك عطف الإقبار على الإماتة بـ(الفاء) لإفادة الترتيب والاتصال المباشر، وأومأ العطف بـ(الفاء) إلى هَون ذلك ويسره على الله ﷻ.

ثم عدل بالعطف إلى (ثم)، فعطف بها تيسير السبيل على التقدير، والإنشار على الإقبار؛ لأن الإقبار يعقب الإماتة، والإنشار يتراخى عن ذلك، وكل استعمالات أساليب العطف في هذا الموضع شارعة في إثبات التعجيب من شدة كفر الإنسان بربه رغم إحسانه إليه، ورغم إقراره عقلًا ويقينًا ببديع خلقه وصنعه.

ومن فرائد الانتقال بين (الفاء) و(ثم) ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٠]حيث أومأ عطف فعلي التولي والجمع بـ(الفاء) إلى سرعة تولي فرعون لجمع كيده، وعظيم حماسته لاستحثاث السحرة للإيقاع بنبي الله موسى -عليه السلام-، وفيه إشارة إلى فرح فرعون بإبعاد موسى وإرجائه إلى يوم الزينة، وشدة استغلاله لذلك، طمعًا في غلبه، والإيقاع بموسى عليه السلام. يقول ابن عاشور:

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الشيحي الخازن، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٣٩٥/٤.

"تفريع التّولي وجمع الكيد على تعيين موسى للموعد إشارة إلى أنّ فرعون بادر بالاستعداد لهذا الموعد ولم يُضِع الوقت للتهيئة له"(١).

ثم عدل إلى العطف بحرف المهلة والتراخي (ثم)؛ فعطف جملة إتيان فرعون على جمع كيده، في إشارة إلى استغراق فرعون كثير وقته؛ من أجل جمع كل كيده، وبكل قواه وحيله. وفيه إيماء إلى كمال جاهزيته وعظيم اعتماده على السحرة لمنازلة موسى –عليه السلام– يقول ابن عاشور: "و(ثمّ) للمهلة الحقيقيَّة والرتبيَّة معًا، لأنّ حضوره للموعد كان بعد مُضيّ مهلة الاستعداد، ولأنّ ذلك الحضور بعد جمع كيده أهم من جمع الكيد، لأنَّ فيه ظهور أثر ما أعدّه"(٢).

ويرى بعض أهل التأويل أنَّ في استعمال حرف التراخي إيماءً إلى أنَّ فرعون لم يسارع إلى ملاقاة موسى–عليه السلام– بل إنه أتاه بعد بطء ولأيٍ وتلعثم(٣)؛ والذي يظهر –والله أعلم– أن فيه إيماءً إلى استكبار فرعون وغطرسته، وإلماحة إلى ثقته بكيده، واغتراره بسَحَرته، وذلك يرجع لأمرين؛ الأول: أن فرعون طلب من موسى –عليه السلام– موعدًا للمنازلة، طمعًا في الإطاحة به، وإبطالًا لدعوته أمام الملأ، ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٧ – ٥٩]، وأكد الحرص على حصوله وحضوره وعدم الإخلاف بـ(نحن وأنت)، ولو أنه لم يؤمل انتصاره لاتخذ طريق القتال مبكرًا قبل أن يذوق مرارة الهزيمة أمام الملأ. والثاني: أن فرعون اتهم موسى بالسحر، وهو يعلم أن لديه من السحرة ما لا حصر لعددهم وعديدهم، وهو يؤمن بعظيم كيدهم، وعلى يقين بأنهم سيطيعونه، بل إنهم يتقربون إلى حظوته بسحرهم، والله تعالى أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤٧/١٦.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤٨/١٦.

(٣) روح المعاني، محمود بن عبد الله الحسيني ا الألوسي، ٥٣٢/٨.

ومن سياقات الانتقال الفريدة بين العاطفَيْنِ المذكورين ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠] حيث عدل بالعطف إلى (ثم) بعد تجهيزهم بجَهَازهم، وجعل السقاية في رحل أخيه؛ فجاء العطف بحرف المهلة والتراخي الرتبي لبيان أنَّ الإعلان عن سرقة السقاية كان عقب التأكد من جعلها في رحل أخيه؛ في إشارة إلى قصد ذلك، والإعداد له، وإيماء إلى الدقة في ترتيب الإخفاء، من أجل تحقق الغاية المقصودة منه، ولو كان العطف بغير حرف المهلة لفاتت هذه اللفتة البيانيَّة الدقيقة.

ويتصل بهذا الموضع ما جاء عقبه في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾[يوسف: ٧٦]، فعطف بـ(الفاء) لبيان مباشرة الابتداء بالبحث عن السقاية في أوعية إخوته لأبيه قبل استخراجها من وعاء شقيقه بنيامين؛ إمعاناً في إبعاد الريبة في قصد الفعل، ثم عطف استخراجها بـ(ثم) لإثبات مرور البحث في أوعية إخوته قبل استخراجها من وعاء أخيه، إبعادًا لتهمة التحيل لذلك؛ فجاء العطف بحرف المهلة المتراخي لإتمام معنى العطف الأول وتأكيده، ولو لم يتم العدول بالعطف إليه لفاتت هذه المعاني.

ومن فرائد مواضع الانتقال بين هذَيْنِ العاطفَيْنِ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف:١١ – ١٢]، إذ عطف سلب حاسة سمعهم لإنامتهم على دعائهم بـ(الفاء) إشارة إلى إكرامهم بتعجيل إجابة دعوتهم بإنامتهم، وصرف شر قومهم عنهم(١)، ثم عطف بعثهم بحرف التراخي والمهلة من أجل إثبات بعثهم بعد ثبات إنامتهم؛ إشارة إلى التعجيب من بديع صنيع الله جلَّ وعلا.

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة – القاهرة، ط١، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م، ٣٦٣/١٠.

ومن دقيق مسالك الانتقال بين العاطفَيْنِ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٦ – ٦٨]، حيث جاء العاطفان لإثبات إيقاع شديد العذاب على الظالمين، وتنوع صنوف العقوبة عليهم؛ فعطف بـ(الفاء) ابتداءً لتأكيد أكلهم من طلع شجر الزقوم، وإيماءً إلى إكراههم على ذلك، وعقّب بها –أيضًا– تأكيدًا لامتلاء بطونهم منه، وإمعانًا في عذابهم به.

وفيه إلماح إلى تعجيلهم بالأكل –رغم الجهد الشديد ببلعها لبشاعتها– ومن ثمَّ سرعة الامتلاء؛ يقول ابن عاشور: "والفاء في قوله: ﴿ فَمَالِـُٔونَ ﴾ فاء التفريع، وفيها معنى التعقيب؛ أي لا يلبثون أن تمتلئ بطونهم من سرعة الالتقام، وذلك تصوير لكراهتها؛ فإن الطعام الكريه كالدواء، إذا تناوله آكله أسرع ببلعه، وأعظم لقمه لئلا يستقر طعمه على آلة الذوق"(١).

ثم انتقل السياق القرآني بالعطف بـ(ثم) لإفادة التراخي في ترتيب عقاب هؤلاء الظالمين؛ فأفاد العاطف شدة عطشهم بسبب ذلك الطعام الكريه، ثم تأخر سقيهم بماء الحميم الأشد كراهة؛ يقول الرازي: "فكان المقصود من كلمة (ثم) بيان أن حال المشروب في البشاعة أعظم من حال المأكول"(٢).

ثم عقب بالعاطف –بعد أكلهم من طلع الزقوم حتى الامتلاء، وشربهم من ماء الحميم حتى الارتواء– بإرجاعهم إلى لجحيم، تأكيدًا بأنها هي مقرهم وقرارهم، وإيماء بشؤم مآلهم، وسوء حالهم؛ يقول أبو حيان: "لما ذهب بهم من منازلهم التي أسكنوها في النار إلى شجرة الزقوم للأكل والتملؤ منها، والسقي من الحميم، ونواحي رجوعهم إلى منازلهم، دخلت ثم للدلالة على ذلك"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢٥/٢٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٣٨/٢٦.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ١٠٧/٩.

وفي العطف بـ(ثم) ذكر صاحب إعراب القرآن وبيانه لطيفتين؛ فقال: "فإن في معنى التراخي وجهين: أحدهما: أنهم يملئون البطون من شجر الزقوم؛ وهو حار يحرق بطونهم، ويزيد في عطشهم وغلتهم، فلا يسقون إلا بعد ملئ -تعذيبًا بذلك العطش- ثم يسقون ما هو أحر من العطش؛ وهو الشراب المشوب بالحميم.

والوجه الثاني: أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أوغل في الكراهة، وأبعد في البشاعة؛ فجاء بـ(ثم) للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام، ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه، ومعنى الثاني أنه يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم؛ وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يملئوا بطونهم، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التراخي في ذلك واضح المفهوم"(١).

ومن مواضع الانتقال بين العاطفَيْنِ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد: ٣٢]، فقد جاء عطف إملاء الكافرين بـ(الفاء) لبيان تعقيبه على استهزائهم بالرسل مباشرة، واتصاله به، وترتبه عليه، وفيه إيماء إلى أن بقائهم بأمن ودعة مدة من الزمن كان لحكمة وغاية.

ثم عقّب بعطف الأخذ بالعقوبة على الإملاء بحرف المهلة لتأكيد تراخي زمن الإمهال. وفيه إشارة إلى أن ذلك الإملاء لم يكن نعيمًا لهم ولا إكرامًا، وإنما هو إلهاء لهم واستدراج؛ من أجل استمرارهم في الاستهزاء، ثم التربص بهم بالعقوبة. وفي كلٍّ إيماء إلى أن إمهالهم كان من قبيل مكر الله بهم وزيادة عقوبتهم؛ إشارة لعظيم جرمهم وسوء صنيعهم؛ إذ الأجدر بهم احترام الرسل -عليهم السلام- وتوقيرهم فضلًا عن تصديقهم واتباعهم.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط٤، ١٤١٥هـ، ٢٨٣/٨.

وجاء التعقيب بـــ(الفاء) بالاستفهام ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ للتعجيب من عظيم عقابهم وشديد استئصالهم، واستعظام لما حل بهم، وإيماء بفظاعته، وبيان أن هـــذا التعجيب مرتَّب على سوء ما وقع بهم من عقاب، وأنه عقيبه، ومتصل به.

ومن مواضع الانتقال بين العاطفَيْنِ التي جاء بها حرف التراخي لإثبات الكرة وتوكيدها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، فعطف الصـــعق بـــــ(الفاء) لبيان مفاجأته، وسرعة وقوعه بعد النفخ في الصور مباشرة، وإيماء باتصاله به؛ في إشارة لهوله وعظمته، وفي حرف التراخي بيان لوجود مهلة مقدرة بين النفختـــين، وفيه إثبات لتَكْرَار النفخ، وتوكيد النفختين.

ومن مواضع مجيء الانتقال بين العاطفَيْنِ بدلالة التأكيد ما جاء فـــي قولـــه تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ – ٤]، فقد جاء العطف بـــ(ثم) دالًّا على التراخي الرتبي كما هو شأن العطـــف بـــ(ثم) في عطف الجمل؛ لأنَّ مضمون الجملة المعطوفة بـــ(ثم) هنا أهم وأدخل في الغرض من مضمون الجملة المعطوف عليها؛ لأن إعادة النظر تزيد العلم بانتفـــاء التفاوت في الخلق رسوخًا ويقينًا(١).

ففي حرف التراخي دلالة تأكيد معنى العطف بـــ(الفاء)؛ وهو الأمر بإرجاع البصر، وفيه –أيضًا– طلب تَكْرَار النظر بتأمل وتدبر من أجل معرفـــة الخـــالق، وإيقاف المتلقي على عظيم قدرته –ﷻ– ولإقرار عبوديته لله الواردة في سياقه.

يقول الزمخشري: "فإن قلت: فما معنى ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ﴾؟ قلتُ: أمره برَجْع البصر، ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء، وأن يتوقف بعـــدها ويجـــمِّ بصره، ثم يعاود ويعاود، إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة، فإنه لا يعثر على شيء من فطور"(٢).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩٦/٢٧.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٥٧٧/٤.

ومن مواضع الانتقال اللطيفة بين هذَيْنِ العاطفَيْنِ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل: ٢٨]، فقد عطف فعل إلقاء الكتاب إلى بلقيس بـ(الفاء) لدلالة التعجل في إيصال الرسالة، ولبيان تعقيبه على الأمر بالذهاب إليهم مباشرة، وتأكيد الاتصال بينهما.

ثم عدل بعطف التولي عنهم بـ(ثم) المهلة والتراخي لإفادة التثبت حتى التيقن من وصول الكتاب إليهم؛ وفي ذلك إيماء إلى التأكد من الإبلاغ، وبيان لأنّ التولي مترتب على الإلقاء بمهلة. وقد يومئ العطف إلى دلالة التخفي عنهم.

ثم عدل بعده بالعطف إلى (الفاء) لإفادة الترتيب والتعقيب على جملة (تولى)، وللإشارة إلى إمعان النظر في أمرهم بعد التولي؛ إيماء إلى التحري والترقب وانتظار النتائج، ثم الإتيان بخبرهم.

وجاء تعاقب العاطفَينِ -هنا- مقترنًا بأفعال الأمر والطلب؛ في إيماء إلى ما سخره الله -ﷻ- لنبيه سليمان -عليه السلام- كتسخير الريح والجن والطير -ومنه الهدهد- لتنفيذ ما يأمر به، وفيه كذلك دليل على اعتلاء نبي الله سليمان -عليه السلام- عرش الممالك في زمنه؛ فجاء تنوع العطف بين (الفاء) و (ثم) ليؤكد امتلاكه الأمر والنهي، وإرادة جنده على الاستجابة لأمره وتنفيذه.

ومن مواضع الانتقال بين العاطفَيْنِ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٤]، فقد جاء العاطف بحرف التعقيب المباشر إشارة إلى شفقة نبي الله موسى -عليه السلام- ومبادرته لسقي أنعام المرأتين، وسرعة استجابته لمساعدتهما، وعدم تريثه؛ فدل العطف بـ(الفاء) على أن لا زمن بين تسويغ الفتاتين وسقي موسى -عليه السلام- لأنعامهما.

ثم عدل – بعد ذلك – إلى حرف التراخي فعطف به تولي موسى –عليه السلام– إلى الظل على جملة سقيه أنعام الفتاتين؛ فدل حرف التروي والتراخي على أنه ما انصرف إلى الظل إلا بعد تأكده من قضاء حاجة أنعامهما من سقي الماء.

ثم انتقل بالعاطف إلى (الفاء) في عطف جملة شكواه ودعائه ربه على جملة التولي إلى الظل؛ لإبراز معاناته وحاجته إلى ربه؛ وأن لا مأوى له ولا أهل، ودليل على أن هذا الدعاء كان معقبًا على السقي ومتصلًا به؛ في إشارة إلى إردافه الدعاء بما قدَّمه من خير، وإيماء إلى مسارعته بذلك رجاء إجابته.

ومن مواضع مجي الانتقال بين العاطفَيْنِ بدلالة التوكيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، فقد ابتدأ العطف بالفاء لتأكيد تكرر إنفاقهم لأموالهم؛ يقول ابن عاشور:" والفاء في فسينفقونها تفريع على العلة؛ لأنهم لما كان الإنفاق دأبهم لتلك العلة المذكورة، كان مما يتفرع على ذلك تكرر هذا الإنفاق في المستقبل؛ أي ستكون لهم شدائد من بأس المسلمين تضطرهم إلى تكرير الإنفاق على الجيوش لدفاع قوة المسلمين"(١)، في إشارة إلى ثبات الإنفاق، وتأكد استمراره.

ثم عدل بالعطف بعد ذلك بحرف التراخي (ثم) لبيان ترتب حسرتهم على الإنفاق المتكرر، ولبيان أن هذه الحسرات جاءت بعد ذلك الإنفاق الخاسر؛ في إشارة إلى إثبات شدة الحسرات، وعظيم الخسارات؛ إذ فقدوا أموالهم ولم ينالوا مقصدهم، فجاءت (ثم) بدلالة التراخي لإثبات أن حسراتهم جاءت بعد فوات المال، وتأكيد تسبب ذلك بشديد ألمهم، وعظيم حسرتهم.

ومن مواضع مجيء الانتقال بين العاطفَيْنِ بدلالة التوكيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٤١/٩.

لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ٥ – ١٠]، فقد جاء العطف بـ(الفاء) لإثبات مبادرتهم بالفرار والعصيان، وتأكيد عدم استجابتهم؛ في إشارة لتقبيح صدّهم وسوء صنيعهم.

ثم عدل بالعطف إلى (ثم) لإفادة إثبات دعوتهم، وتأكيد تكررها، وجاء تَكْرَار عاطف التراخي من أجل إثبات التبليغ، وتأكيد استعمال جميع وسائل الدعوة، في إشارة إلى اليأس من استجابتهم.

وجاء العطف بـ(الفاء) بعد العطف بـ(ثم) لتفسير جملته، وتوضيح إجماله، وتفصيل إيجازه؛ فبين نوع دعوته لهم، وفصّل في بيانها، في إشارة إلى إثبات إقامة الحجة عليهم، وتأكيدًا للإعذار في إبلاغهم.

وجاء الانتقال بين العاطفَيْنِ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾[هود: ٥٤ – ٥٥]، وإن عدّ بعضهم (الفاء) هنا فصيحة[1]؛ إلا أنَّ فيها دلالة التفريع على البراءة من شركهم، في إشارة إلى تحقير آلهتهم، وإيماء إلى تحدّيهم، وعدم الخوف منها.

ثم عطف النهي عن الإنظار بحرف التراخي (ثم)؛ لتأكيد معنى العطف بـ(الفاء)، ولإثبات عجزهم، وإشارة إلى الاستخفاف بأصنامهم، وتحقيرها، وإيقاف لهم على سوء صنيعهم، تأكيد لانحرافهم، وضلالهم، ومجانبتهم الحق.

وفي الأعراف جاء المعطوفان نفسهما إلا أنَّ الانتقال بين العاطفَيْنِ كان مغايرًا للموضع السابق تمامًا؛ إذ تقدم العطف بـ(ثم) على العطف بـ(الفاء)؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤ – ١٩٥].

(١) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ٢٨٣/٨.

فدل عطف الكيد بـ(ثم) على التراخي والإمهال، في إشارة إلى منح المشركين كل الوقت لدعوة شركائهم لإجراء جميع ضروب الكيد، وأكد العطف بـ(الفاء) هذا المعنى، وزاد فيه دلالة الاستعجال، وعدم الإمهال في إيقاع الكيد عند بلوغه، وكل ذلك من أجل إيجاب تحديهم وتعجيزهم، وإثبات بطلان اعتقادهم، واحتقار آلهتهم التي يدعون، وتعريض لهم بأنها لا ترد عن نفسها الضرر فضلًا عن نصرتهم. وفي كل تقريع لهم على سوء صنيعهم، وقبح اعتقادهم، وإيقافهم على شدة جهلهم، وضلالهم، وعظيم خطئهم.

وقد تكرر عطف جملة النظر في عاقبة المكذبين على جملة السير في الأرض بـ(الفاء) في مواضع عدة كما جاء في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، فعطف بـ(ثم) إنشاء النشأة الآخرة على جملتي السير والنظر في ابتداء الله الخلق من العدم، لتأكيد قدرته على إعادته مرة أخرى في النشأة الآخرة، في إشارة إلى إقامة الحجة عليهم، وتجلية قدرة الله -ﷻ- في ما أنكروه.

فجاء استعمال حرف التراخي الرتبي للإيماء بعظم شأن المعطوف بعده وأهميته، وأن بيانه وتعينه وإثباته هو المعني في الكلام؛ فإعادة الخلق بعد ابتدائه أهم في الإثبات والتأكيد من أمر الابتداء -لأنه أمر غيبي- ولأن اعتقاد الكفار قائم على إنكار البعث المترتب عليه الحساب.

ولعل مجيء عطف أمر النظر بابتداء الخلق بحرف (الفاء) يرمز إلى قربه وسرعة تجليه ومثوله للناظر، وإيماء إلى اتصاله بالسير والنظر، وقربه من كل مبصر متدبر، وبيان لأن ظهور ابتداء الخلق مترتب على السير في الأرض، وفيه احتجاج على منكري البعث بالإشارة إلى أن الذي لا يعجزه ابتداء الخلق من العدم فلن تعجزه الإعادة؛ وهذا من بديع بسط البرهان، وإقامة الحجة.

وقد تكرر عطف جملة النظر في عاقبة المكذبين على جملة السير في الأرض بـ(الفاء) في مواضع عدة من القرآن الكريم، إلا في موضع واحد في

سورة الأنعام حيث جاء العطف بحرف التراخي (ثم)؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ١٠ – ١١].

ولعل في العطف بـ(ثم) إشارة تأكيد التروي بالنظر وإمعانه في دلالات عقوبة أولئك القوم؛ إذ عوقبوا بسبب استهزائهم برسلهم، فكان ذلك بمنزلة الإيماء إلى شدة ما وقع بهم من العقوبة نظير عظم جرمهم تجاه رسلهم، فكان فيه إشارة إلى إيقاع شدة الاعتبار في قلوبهم قبل الوقوع بما وقع به من قبلهم فيقع عليهم مثله.

وأما تكرر عطف المواضع الأخرى بـ(الفاء) ففيه إشارة إلى سرعة ظهور آثار العقوبة، وتجليها للناظر ومثولها له دون أدنى جهد، وعدم الحاجة إلى إمعان النظر لاستكشافها، وإيماء إلى اتصالها بالسير والنظر، وقربها من كل مبصر متدبر.

وقد يأتي العطف مرة بـ(الفاء)، ومرة أخرى بـ(ثم) في سياق متشابه؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولعل في مجيء الإعراض في موضع سورة الكهف معطوفاً بـ(الفاء) بيان بأن زمن المهلة لا يزال متاحًا لهم، وأن الأمل في توبتهم وقبولهم للحق لم ينقطع بعد؛ إذ ما زالوا على قيد الحياة –بحسب سياق الآيات– ولذا ناسب العطف بـ(الفاء).

مع ما في العاطف من إشارة إلى سوء ظلم هؤلاء المعرضين، والتعجيب من سرعة إعراضهم بلا تدبر ولا رويَّة، رغم ما بسط لهم من الآيات البينات، والدلالات الواضحات؛ ففيه إثبات لسوء صنيعهم، وتأكيد لقبحه.

وأما مجيء العطف في موضع السجدة بـ(ثم) فقد جاء بعد انتهاء زمن المهلة، وبعد مثولهم بين يدي الله –ﷻ– للحساب، فجاء مومئًا إلى تكرر تذكيرهم،

واستمرار وعظهم، وتأكيد ثبات إعراضهم، فناسب العطف بحرف التراخي؛ للإيماء إلى دلالة نفاد هذه المهلة، مع ما فيه من إشارة إلى تقبيحهم، والتعجيب من سوء صنيعهم –لا سيما– بعد ما ظهرت لهم الآيات وتجلت، وقد ذكروا بها.

يقول الخطيب الإسكافي: "وذلك أنّ ما في سورة الكهف في ذكر قومٍ يُستدعَون إلى الإيمان، ولم تختم أعمالهم بالكفر لقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦]. وليس كذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ﴾[السجدة: ٢٢]، أي: ذكّر مدّة عمره بآيات ربّه، وتطاول الأمر بزجره ووعظه، ثم ختم ذلك بترك القبول وبالإعراض، فكان هذا قولًا يقال فيهم عند الانتقام منهم كما حكى قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]"(١).

ويقول أبو السعود: "وكلمة (ثم) لاستبعاد الإعراض عنها عقلًا مع غاية وضوحها وإرشادها إلى سعادة الدارين"(٢).

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م، ٢٨٣/٨.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٨٧٦/١.

المبحث الثاني

الانتقال من العطف بـ(ثم) إلى العطف بـ(الفاء) في بعض الآيات القرآنية

جاء الانتقال بين العاطفَيْنِ في إشارة إلى بديع صنع الله -ﷻ- كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، حيث جاء في سياق التنبيه على موضع العبرة، والتعجيب من غريب الصنعة وإسداء النعمة(١)، وبيان لأنَّ تصوير الإنسان في هيئته هذه واقع بعد خلقه، ومرتب عليه.

يقول الطيبي: "ويمكن أن تحمل (ثم) على التراخي في الرتبة، لأن مقام الامتنان يقتضي أن يقال: إن كون أبيهم مسجودًا للملائكة، أرفع درجة من خلقهم وتصويرهم. وفيه تلويح إلى شرف العلم، وتنبيه للمخاطبين على تحصيل ما فاز به أبوهم من تلك الفضيلة، ومن ثم عقب في "البقرة" الأمر بالسجود مسألة التحدي بالعلم"(٢).

وفي هذا العاطف إشارة إلى التعجيب من خلق الإنسان في صورته هذه، وإلماح إلى أن هذا التصوير أعظم من الخلق نفسه. ولعل فيه إيماءً إلى الامتنان على الإنسان بما ميزه الله به من جمال الهيئة وحسن الخِلقة من غيره من المخلوقات، تأكيدًا لتشريفه بسجود الملائكة.

كما أن في تتابع العطف بحرف التراخي بين الخلق والتصوير وسجود الملائكة لآدم إشارة إلى تفاوت الأطوار، واختلاف المراحل؛ فالخلق ابتداء وإيجاد، والتصوير تمام واكتمال، والسجود تشريف وتكريم.

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطيَّة، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢/٣٧٧.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، الطيبي، جائزة دبي الدوليَّة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٦/٣٣٥.

ثم جاء العطف بـــ(الفاء) بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم -عليه السلام- لتأكيد التشريف، ولإثبات امتثالهم لأمر ربه، وإيماء إلى سرعة استجابتهم، وإلماح إلى الثناء عليهم، وتعريض بسوء صنيع إبليس، وقبح تخلفه وعصيانه.

ومن مواضع الانتقال من (ثم) إلى (الفاء) ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤]، ففهم من العاطفَيْنِ دلالة المراوحة بين الإبطاء المتراخي والتعقيب المباشر؛ فأثبت العطف بـــ(ثم) دلالة تراخي زمن الحياة ومدة ما قبل الإرجاع إلى الله تعالى، وقابل ذلك التراخي بالعطف بـــ(الفاء) إشارةً إلى تعقيبه بالحساب بلا مهلة، وتأكيدًا لترتب ذلك عليه، وفيه الإشعار بالتهديد والوعيد.

وقريب من هذا الموضع ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ومن مواضع الانتقال بين (ثم) و(الفاء) لإثبات قدرة الله -جل جلاله- ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، حيث عطف الاستواء إلى السماء بعد خلق جميع ما في الأرض بـــ(ثم)؛ في إشارة إلى التراخي الرتبي المؤكِّد لإتمام خلق كل ما في الأرض من مخلوقات قبل الاستواء إلى السماء لخلقها.

قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: "والعطف بـــ(ثم) يقتضي التراخي في الزمان، ولا زمان إذ ذاك، فقيل: أشار بـ(ثم) إلى التفاوت الحاصل بين خلق السماء والأرض في القدر. وقيل: لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال من جعل الرواسي والبركة فيها وتقدير الأقوات عطف بـ(ثم)، إذ بين خلق الأرض والاستواء تراخٍ يدل على ذلك: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]"(١).

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ١/ ٢١٦.

ويؤكد هذا الرأي ما ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير بقوله: "وعطفت (ثم) جملة (استوى) على جملة خلق لكم، ولدلالة (ثم) على الترتيب والمهلة في عطف المفرد على المفرد كانت في عطف الجملة على الجملة للمهلة في الرتبة؛ وهي مهلة تخييليَّة في الأصل تشير إلى أن المعطوف بـ(ثم) أعرق في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها حتى كأن العقل يتمهل في الوصول إليه بعد الكلام الأول، فينتبه السامع لذلك كي لا يغفل عنه بما سمع من الكلام السابق، وشاع هذا الاستعمال حتى صار كالحقيقة، ويُسَمَّى ذلك بالترتيب الرتبي، وبترتب الإخبار"(١).

ثم عطف خلق السموات بعد الاستواء إليهن بـ(الفاء)، فعطف تسوية السموات على الاستواء إليهن، ليظهر أن ذلك الخلق كان مرتبًا على الاستواء، وأنَّه واقع بعده، فكان فيه دلالة توكيد إتقان خلقهن، وبيان سرعة إيجادهن من العدم، ليقدح في قلب العاقل المتدبر عظيم قدرة الله – ﷻ– في خلقه، ودقيق صنعه.

وقريب من الموضع السابق ما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١٠ – ١١]، حيث جاء الانتقال بين العاطفَيْنِ لبيان قدرة الله –ﷻ– وتأكيدها؛ فقد جاء حرف المهلة والتراخي بدلالة الترتيب الرتبي، وبيان لأنَّ ما جاء بعده أعظم رغم عظمة ما قبله؛ فالاستواء إلى السماء وخلقها أعظم من خلق الأرض وما فيها؛ في إشارة إلى أن الاستواء لخلق السماء أعظم من مما قبله، وفيه دلالة على أن إبداع خلق السماء جاء بعد إتمام إبداع خلق الأرض وما فيها.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٨٢/١.

ثم عدل بعطف القول على الاستواء بـــ(الفاء) للدلالة بأن فعل القول جاء بعد الاستواء وعقيبه، وإيماء إلى مباشرة وقوعه وتحققه، وفي كلٍّ إشارة إلى الإنكـــار على كل من يكفر بالله -ﷻ- بعد علمه ببديع صنعه وعظيم قدرته.

ومن مواضع الانتقال بين العاطفَيْنِ في بيان دقيق صنع الله -ﷻ- ما جاء في دلالة أطوار خلق الإنسان، ومراحل تكونه من العدم؛ في إشارة إلى عظم دلالة هذَيْنِ العاطفَيْنِ، ودقيق بيان الانتقال بينهما للمعنى؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

فقد عطف جملة ﴿ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾ على جملـــة ﴿ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ بـــــ(ثم) - وهو خلق آدم؛ أصل الإنسان(١)- وعطف جملة ﴿ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ على جملـــة ﴿ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾، ولعل في تخصيص عطف هذه الجمل بـــ(ثم) بياناً لتخصيصـــها بعطف الجمل -كما مر- وفي ذلك إيضاح لترتب هذه الجمل على بعضـــها علـــى بعض؛ إذ لا وجود للآخر إلا بوجود سابقه، وإشارة إلى أن كل طور فـــي الخلـــق أعظم من سابقه، وإيماء إلى أن اكتمال خلق الإنسان في صورته الأخيرة، وهيئتـــه المعجزة ناتج من قدرة الخالق في تسلسل خلقه عبر الأطوار المذكورة.

كما قد يكون من دلالات عطف هذه الجمل بـــ(ثم) دلالة المهلة الزمنيَّة لجعل نطفة بني آدم في قرار الرحم؛ إذ سبقت بخلق آدم، ثم خلق زوجه، ثـــم تزاوجهمـــا لتتكون أطوار خلق ذريتهما المذكورة، في بيان لدقة ترتيب هذا الخلق، وبديع ذلـــك الصنع.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـــ، ص٥٤٨.

ثم جاء العطف بـــ(ثم) في قوله: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ لإقـــرار المهلـــة الزمنيَّة بينهما، ولبيان عظم هذا الخلق، وللتعجيب من بديع هذا الترتيب في التحول من حال إلى حال. يقول ابن عاشور: "ثم خلقنا النطفة علقة للترتيب الرتبي إذ كان خلق النطفة علقة أعجب من خلق النطفة؛ إذ قد صير الماء السائل دمًا جامدًا فتغير بالكثافة وتبدل اللون من عوامل أودعها اللَّه في الرحم"(١)، في إشارة قاطعة إلى أن ذلك لا يكون إلا بقدرة الله خالق كل شيء.

ثم عدل بسياق الكلام في الآيات إلى العطف بـــ(الفاء) في إعجاز بياني بديع؛ حيث عطف جملة ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ علـــى جملـــة ﴿ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ بـــ(الفاء) في إشارة إلى الاتصال بينهما، والتقارب الزمني، فالتطور والتحول بينهما واقع بالتدريج؛ فما إن ينتقل من العلقة حتي يتحول إلى المضغة.

وفيه –أيضًا– إيماء إلى أن هناك تشابهًا بين المضغة والعلقة؛ يقـــول ابـــن عاشور: "وعطف جعل العلقة مضغة بـــ(الفاء) لأنّ الانتقال من العلقة إلى المُضغة يشبه تعقيب شيءٍ عن شيءٍ؛ إذ اللَّحم والدَّم الجامد متقاربان فتطوّرهما قريب"(٢).

وكذلك الشأن في عطف جملة خلق المضغة عظامًا على جملة خلق النطفـــة مضغة، وعطف جملة كسو العظام لحمًا على جملة خلق المضغة عظامًا؛ فقد جـــاء التعاطف بينها بـــ(الفاء)، في إشارة إلى تأكيد الاتصال، والتوالي الرتبي، والتقارب الزمني بينها؛ وفي كلٍّ إثبات لعظيم قدرة الله –ﷻ– وتعجيب من بديع صنعه.

ثم يأتي الانتقال بين العاطفَيْنِ –في سياق هذه الآيات– من (الفاء) إلى (ثـــم) في إثبات آخر أطوار خلق الإنسان؛ وذلك في قوله تعالى: (ثم أنشأناه خلقًا آخـــر)؛ فعطف هذه الجملة على سابقتها بـــ(ثم)، فجاء التحول بالعطف من (الفاء) بعد عدة جمل إلى العطف بـــ(ثم) للتنبيه إلى التحول في تارات الخلق إلى تارة مغايرة لمـــا

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣/١٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤/١٨.

سبقها –وهو التحول من الموت إلى الحياة– ولإثبات أنها مرتبة على كل التارات التي سبقتها، وإيماء إلى أن هذه التارة هي خاتمة تارات الخلق السبع، وأن بها تكتمل الصورة النهائيَّة لخلق الإنسان.

وجاء اختتام هذه التارات بالعطف بـ(ثم) دون أن يكون هناك تفصيل في بيان طبيعة إنشاء هذا الخلق الآخر في إشارة إلى أنها الصورة الظاهرة للخلق والمعلومة لديهم، والتي يكون فيها نفخ الروح؛ لينتقل بذلك من كونه جمادًا إلى أن صار حيَوَانًا[1].

وفي سورتي الحج وغافر جاء العاطف مغايرًا لما سبق؛ ففي الحج جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج: ٥]، حيث جاء ربط أطوار خلق الإنسان، ومراحل تكونه من العدم بـ(ثم) بدلًا من (الفاء) كما كان في الموضع السابق، وكذلك في غافر كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ﴾[غافر: ٦٧].

ويرى كثير من النحاة والمفسرين أن (الفاء) هنا جاءت بمعنى (ثم) في الدلالة على المهلة والتراخي؛ وذلك لتراخي معطوفاتها؛ ويحتجون على ذلك بالعطف بـ (ثم) في جميع مراحل خلق الإنسان[2].

وهذا الرأي فيه نظر؛ لأن مجيء العطف بـ(ثم) بين هذه التارات كان في سياق الرد على المشركين ومنكري البعث، وفي ربط الجمل بهذا العاطف–خاصة– إشارة إلى توكيد خبر البعث، ولإجراء عقولهم على حقيقته برويَّة وتمهُّل عبر تلك التارات، وإيقاف لهم على النشأة الأولى الأشد إعجازًا من البعث الذي يكون فيه إعادة إيجاد المخلوق، فناسب العطف هنا بحرف المهلة (ثم)، والله تعالى أعلم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٥٤٨.

(٢) التناوب في المعنى بين حروف العطف دراسة في القرآن الكريم، د. حجاج أنور عبد الكريم، جامعة الطائف ٢٣/١.

في حين أن تارات الخلق التي رُبطت بحرف العطف (الفاء) جاءت في سياق موجه للمؤمنين، وفي إطار عرض صفات المؤمنين المفلحين المصدقين بالبعث والحساب –كما جاء في سورة المؤمنين– فكان مجيء عطف هذه التارات على أصحاب تلك الصفات إشارة إلى علمهم بهذه المراحل، فكان عرض التارات على هيئة التعقيب المستمر المتصل دليلًا على تيقنهم بذلك، وتمجيدًا لتصديقهم، وإقرارًا ليقينهم، فلا حاجة –حينئذٍ– إلى العطف بحرف المهلة المقتضي التروي والتبصر؛ فناسب هذا العاطف هذه المعاني المتصلة في التعاقب، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن دقيق دلالات الانتقال من (ثم) إلى (الفاء) ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٣ – ٦٤]، حيث عطف جملة تولي بني إسرائيل بـ(ثم) على جملة أخذ الميثاق عليهم بالأخذ بما جاءهم من الحق في التوراة، في إشارة إلى شدة تقريعهم وتوبيخهم على التولي والعصيان بعد أخذ ميثاقهم بالسمع والطاعة، وبعد تأكد رؤيتهم الآيات –برفع الطور فوقهم– فجاء العطف بحرف المهلة لبيان قبح نقض العهد بعد تأكد عقده، وبيان سوء التكذيب بالحق بعد تأكد ظهوره.

ثم عدل إلى العطف بـ(الفاء) تعقيبًا بفضل الله عليهم بإنجائهم من عقابه، وإيماء إلى سعة رحمته ﷻ، وسرعة غوثه؛ بعدوله عن عذابهم، وهدايتهم للتوبة وقبولها منهم.

ومن مواضع الانتقال بين العاطفَيْنِ التي تقدم بها حرف التراخي ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٧ – ٩]، فدل العطف بحرف التراخي على التنبيه على أن دنو جبريل –عليه السلام– من

النبي -ﷺ- مرتب على استواء جبريل -عليه السلام- لذلك، وأن هذا التراخي الذي تقيده (ثم) هو تراخٍ رتبي لأن الدنو إلى حيث يبلغ الوحي هو الأهم في هذا المقام(١).

وأما عطف التدلي بـ(الفاء) فلبيان أنه عقيب الدنو، وأنه متصل به، وناتج منه، وفيه توكيد الدنو والقرب؛ "إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلي والتدلي على الدنوّ"(٢)، وفي كلٍّ بيان لعظمة الموقف؛ وهو رؤية جبريل في الأفق على هيئته(٣).

ومن مواضع الانتقال بين العاطفَيْنِ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]، فعُطفت جملة (يهيج) وجملة (يكون حطامًا) بـ (ثم) لإفادة التراخي الرتبي، ولبيان ارتباطهما بزمن متفاوت القدر.

وعطف رؤيته مصفرًا بـ(الفاء) على جملة (يهيج) لبيان تعقيبه عليه، وتأكيد اتصاله به، ومقاربة زمنهما، وإيماء إلى ظهور علامات تحطمه وزواله، وإشارة لسرعة تحول النبت من الخضرة والنضارة إلى اليبس، وللإفضاء إلى الغاية من ضرب هذا المثل وهو بيان قصر الدنيا، وتأكيد سرعة زوالها.

فعكس العطف بحرف التراخي صورة الدنيا في أعماق نفس اللاهي بها؛ فيطيل زمن إعجاب الكفار بنباتهم؛ إيماء إلى استغراقهم في ملذات الدنيا، وبيانًا لغفلتهم عما وراءها، ثم يأتي العاطف مرة أخرى بين اصفرار النبات وصيرورته حطامًا ليرمز إلى طول أملهم وتشبثهم ببقائه؛ حتى وهم يرون علامات نهايته وذبوله، وكأنهم أرادوا الاستمتاع بالدنيا إلى آخر لحظة فيها وفي أعمارهم؛ لذلك قابل الله-جل جلاله- طول غفلتهم بمضاعفة العذاب﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد: ٢٠](٤).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩٦/٢٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، ٥٠١/٢٢.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ١٠/١٠.

(٤) من أسرار حروف العطف، الخضري، ص ٢٧١.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنني لا أدعي التمام والكمال فيما قدمت حول هذا الموضوع الدقيق، فبابه واسع، وله في البيان الرباني شأن آخر، تعجز العقول البشريَّة عن إدراك مداه، وتقصر أفئدتهم من بلوغ منتهى مغزاه، لتعدد أوجهه، واتساع أبوابه، ولكن حسبي -فيما قدمت- أنه جهد المقل، وقد يعذر من جدَّ في السير واجتهد.

ومن خلال العرض السابق، فقد توصل الدارس إلى نتائج عدة؛ منها:

- كثر الانتقال بين حرفي العطف (الفاء) و (ثم) والعكس في القرآن الكريم، وتنوعت دلالاتهما؛ فتارة يدلان على إثبات معنى المعطوف، وتارة أخرى على توكيده، مع ما يتسم به كل عاطف من دلالات خاصة مستقلة؛ كدلالة (الفاء) على السرعة والتعقيب المباشر، و(ثم) على التريث والترتيب المتراخي.
- لحرفي العطف (الفاء) و (ثم) أثر في بيان زمن الحدث من حيث الاتصال والتراخي.
- ومما ظهر فيهما اشتراكهما في إثبات البعث والنشور؛ فكثر استعمال العطف بـ(الفاء) في دلالات الإحياء الأول لإثبات قدرة الله في إيجاد الخلق من العدم، وبيان هون ذلك ويسره على الله ﷻ.
- وفي مقابل ذلك كثر استعمال العطف بـ(ثم) للدلالة على إثبات البعث بعد الإماتة الثانية وتأكيده -باعتبار ما ورد من جل أقوال العلماء كما مرّ- بما يدل على تراخي وقوع ذلك وتعقيبه على الحياة الأولى.
- قد يأتي العاطفان لبسط الحجة، وإقامة الدليل، وإثبات البرهان.
- كما قد يأتي العطف بـ(الفاء) أو (ثم) لإثبات معنى ورد قبله وتوكيده، وقد وقع ذلك في عدة مواضع من التنزيل.
- ومما يذكر عدم وجود تناوب بين هذَيْنِ العاطفَيْنِ رغم مجيء أحدهما في موضع الآخر في الموضع المتشابه، والسياق المتقارب؛ إذ لكل عاطف دلالاته الخاصة في سياق موضعه الذي يرد فيه.

المراجع:

- الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٥ه.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط٤، ١٤١٥هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، (دار الفكر – بيروت) ط١، ١٤٢٠هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسيَّة للنشر – تونس، ط١، ١٩٨٤هـ.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١.
- التناوب في المعنى بين حروف العطف دراسة في القرآن الكريم، د. حجاج أنور عبد الكريم، بحث ترقية، جامعة الطائف.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث – مكة المكرمة.
- جامع الدروس العربيَّة، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصريَّة، صيدا – بيروت، ط٢٨، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة – القاهرة، ط١، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري المالكي، تح: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ط١.

- درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلميَّة الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلميَّة مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تح: علي عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تح: إياد محمد الغوج، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢ه.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٠٧هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلميَّة - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت،ط٣ - ١٤١٤ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطيَّة الأندلسي المحاربي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميَّة - بيروت) ط١، ١٤٢٢هـ.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١ - ١٤٢٠هـ.
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء) و (ثم)، محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة (مصر، القاهرة) ط١، ١٤١٤ه،ـ ١٩٩٣.

Bibliography

al-Ashbāh wa-al-Naẓā'ir fī al-Naḥw, al-Suyūṭī, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Beirut, 1st edition, 1405 AH.

I'rāb al-Qur'ān wa-Bayānuh, Muḥyī al-Dīn ibn Aḥmad Muṣṭafá Darwīsh, (Dār Ibn Kathīr-Damascus - Beirut), 4th edition, 1415 AH.

al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr, Abū Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf ibn 'Alī ibn Yūsuf ibn Ḥayyān al-Andalusī, Investigated by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl, (Dār al-Fikr – Beirut) 1st edition, 1420 AH.

al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn 'Āshūr al-Tūnisī, al-Dār al-Tūnisīyah– Tūnis, 1st edition, 1984 AH.

Tafsīr Abī al-Sa'ūd = Irshād al-'Aql al-Salīm ilá Mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Abū al-Sa'ūd al-'Imādī Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafá, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī – Beirut, 1st edition.

al-Tanāwub fī al-Ma'ná Bayna Ḥurūf al-'Aṭf Dirāsah fī al-Qur'ān al-Karīm, Dr. Ḥajjāj Anwar 'Abd al-Karīm, Research for promotion, Taif University, 1422 AH.

Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān, 'Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir ibn 'Abdillāh al-Sa'dī, th: 'Abd al-Raḥmān ibn Mu'allā al-Luwayḥiq, Mu'assasat al-Risālah, Ṭ1, 1420 AH.

Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān, Muḥammad ibn Jarīr al-Ṭabarī, Dār al-Tarbiyah wa-al-Turāth, Makkah al-Mukarramah.

Jāmi' al-Durūs al-'Arabīyah, Muṣṭafá ibn Muḥammad Salīm Ghilāyīnī, al-Maktabah al-'Aṣrīyah, Sidon – Beirut, 28th edition, 1414 AH-1993.

al-Jāmi' li-Aḥkām al-Qur'ān, Abū 'Abdillāh Muḥammad ibn Aḥmad al-Anṣārī al-Qurṭubī, Investigated by: Aḥmad al-Baraddūnī and Ibrāhīm Aṭfish, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah – Cairo, 1st edition, 1384 AH-1964.

al-Janá al-Dānī fī Ḥurūf al-Ma'ānī, Badr al-Dīn Ḥasan ibn Qāsim ibn 'Abdillāh al-Murādī. Investigated by: Dr. Fakhr al-Dīn Qabāwah – prof. Muḥammad Nadīm Fāḍil, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Beirut – Lebanon, 1st edition, 1413 AH-1992.

Dirāsāt li-Uslūb al-Qur'ān al-Karīm, Muḥammad 'Abd al-Khāliq 'Uḍaymah, Dār al-Ḥadīth, al-Qāhirah, 1st edition.

Durrat al-Tanzīl wa-Ghurrat al-Ta'wīl, Abū 'Abdillāh Muḥammad ibn 'Abdillāh al-Aṣbahānī known as -al-Khaṭīb al-Iskāfī, Investigated by: Muḥammad Muṣṭafá Āydīn, Umm Al-Qura University, Ministry of Higher Education Recommended Scientific Theses Series (30)

Scientific Research Institute, Makkah Al-Mukarramah, 1st edition, 1422 AH – 2001.

Rūḥ al-Maʿānī fī tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm wa-al-Sabʿ al-Mathānī, Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn ʿAbdillāh al-Ḥusaynī al-Alūsī, Investigated by: ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭīyah, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah – Beirut, 1st edition, 1415 AH.

Sharḥ al-Mufaṣṣal, Yaʿīsh ibn ʿAlī, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Beirut – Lebanon, 1st edition, 1422 AH-2001.

Fattūḥ al-Ghayb fī al-Kashf ʿan Qināʿ al-Raib (Ḥāshiyat al-Ṭībī ʿalá al-Kashshāf), Sharaf al-Dīn al-Ḥusain ibn ʿAbdillāh al-Ṭībī, Investigated by: Iyād Muḥammad al-Ghawj, 1st edition, 1434 AH - 2013.

al-Kitāb, Sībawayh, Investigated by: ʿAbd al-Salām Hārūn, Maktabat al-Khānjī, Cairo, 2nd edition, 1402 AH.

al-Kashshāf ʿan Ḥaqā'iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʿAmr al-Zamakhsharī, Dār al-Kitāb al-ʿArabī – Beirut, 3rd edition, 1407 AH.

Lubāb al-Ta'wīl fī Maʿānī al-Tanzīl, Abū al-Ḥasan ʿAlā' al-Dīn ʿAlī ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn ʿUmar al-Shaiḥī al-Khāzin, Investigated by: Muḥammad ʿAlī Shāhīn, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah – Beirut, 1st edition, 1415 AH.

Lisān al-ʿArab, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʿAlá Ibn Manẓūr al-Anṣārī, Dār Ṣādir – Beirut, 3rd edition - 1414 AH.

al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz, ʿAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib ibn ʿAṭīyah al-Andalusī al-Muḥāribī, Investigated by: ʿAbd al-Salām ʿAbd al-Shāfī Muḥammad, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah – Beirut) 1st edition 1422 AH.

Mafātīḥ al-Ghayb = al-Tafsīr al-Kabīr, Abū ʿAbdillāh Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn ʿUmar ibn al-Ḥasan al-Rāzī Khaṭīb al-Rayy, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī – Beirut, 1st edition, 1420 AH.

Min Asrār Ḥurūf al-ʿAṭf fī al-Dhikr al-Ḥakīm (al-Fā') wa (thumma) Muḥammad al-Amīn al-Khuḍarī, Maktabat Wahbah (Egypt, Cairo) 1st edition, 1414 AH 1993.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـــوع	الصفحة
١-	ملخص	٥٩٦
٢-	Abstract	٥٩٧
٣-	مقدمة	٥٩٨
٤-	تمهيد:	٦٠١
٥-	المبحث الأول: الانتقال من العطف بـ(الفاء) إلى العطف بـ(ثمَّ) في بعض الآيات القرآنية	٦٠٧
٦-	المبحث الثاني: الانتقال من العطف بـ(ثم) إلى العطف بـ(الفاء) في بعض الآيات القرآنية	٦٢٣
٧-	الخاتمة:	٦٣١
٨-	المراجع:	٦٣٢
٩-	فهرس الموضوعات	٦٣٦